الاستشهاد بـكلام العرب المنثور في التفسير

د. هارون نوح معابـدة*

تاريخ وصول البحث: 2020/11/4م تاريخ قبول البحث: 2021/5/2م

ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان حجية الاستشهاد بكلام العرب المنثور في تفسير القرآن الكريم، وبيان المواطن التي استشهد فيها المفسرون به خلال تفسيرهم للقرآن الكريم.

وقد قمت بجمع أقوال العلماء المؤيدين والمعارضين للاستشهاد بكلام العرب عامة وتحليلها من أجل التوصل إلى القول الراجح في حجية الاستشهاد بكلام العرب المنثور في التفسير، كما قمت باستقراء وتتبع مواطن ذكر المفسرين لكلام العرب المنثور في كتب التفاسير عامة لمعرفة المواطن التي استشهد فيها المفسرون بكلام العرب.

وقد توصلت من خلال البحث إلى أن كلام العرب يعدُّ حجة في القضايا اللغوية بشكل عام، وأن المفسرين قد استشهدوا بكلام العرب المنثور في تفاسيرهم في مواطن عدة، كالاستشهاد بها على معاني الكلمات، والقضايا الصرفية، والبلاغية، والإعراب، والاحتجاج للقراءات القرآنية، وبيان معاني الآيات بشكل عام، كما أنهم ذكروا بعض كلام العرب الذي يبين المجمل في القصص والتاريخ.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الاستشهاد، كلام العرب، المنثور، حجية.

Citing the words of the ancient Arabs in the interpretation of the Qur'an

Abstract

This research aims to Authentic clarity cite Arabic prose speech on the interpretation of the Holy Qur'an, and to indicate the fields in which the interpreters cited prose speech during their interpretation of the Holy Qur'an.

I have collected the opinions of scholars in the case of citations in Arabic words in general and the Arabic prose speech in particular in order to reach the most correct statement in the argument of citation of the Arabic prose speech in interpretation, and I have followed places where the interpreters mentioned the Arabic prose speech in the books of interpretations in general to find out the fields in which the interpreters cited in the Arabic prose speech.

This research concluded that Arabic prose speech are an argument in linguistic issues

* أستاذ مشارك، قسم أصول الدين، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.
haronnq@yahoo.com

in general, and that the interpreters have cited prose speech in their interpretations in several places, such as citing them on the meaning of words, Morphological issues, rhetoric, parsing, Authentic of Qur'anic readings, and the statement of the meaning of the verses in general, and mentioned some prose speech that relate to the meaning of the verses and their story.
Keywords: interpretation, citation, the words of Arabs, speech, the evidence.

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن المفسر إذا ما أراد تفسير القرآن الكريم وجب عليه أن يبدأ تفسيره بالمأثور، فإن لم يجد اجتهد في تفسير القرآن مستعيناً بعلوم لا غنى له عنها، تمنعه من الوقوع في الخطأ إذا ما أحسن استخدامها، كاللغة والصرف والإعراب والبلاغة، وغيرها من العلوم والأدوات، ونحن نرى أثر ذلك واضحاً في كتب التفسير بالرأي.

والناظر في كتب التفسير يجد استشهاد المفسرين بعبارات وجمل نثرية من كلام العرب، فأردت في هذا البحث أن أدرس أهم الأقوال المتعلقة بالاستشهاد بأقوال العرب المنثورة في القضايا اللغوية، للوصول إلى القول الراجح في حجيَّة الاستشهاد بها في اللغة والتفسير، وأن أبين مواطن الاستشهاد بأقوال العرب المنثورة في تفسير القرآن الكريم.

مشكلة البحث.

إن المطالع لكتب التفسير يجد فيها الكثير من أقوال العرب المنثورة التي أوردها المفسرون من أجل بيان بعض القضايا التفسيرية، فما القول الراجح في حجية الاستشهاد بأقوال العرب المنثورة في القضايا اللغوية؟ وما مواطن استشهاد المفسرين بها في تفسير القرآن الكريم؟

ويتفرع عن مشكلة البحث الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما القول الراجح في حجية الاستشهاد بأقوال العرب المنثورة في القضايا اللغوية؟
2. متى دخل الاستشهاد بكلام العرب المنثور في التفسير؟
3. ما ملامح مناهج المفسرين في الاستشهاد بكلام العرب المنثور في التفسير؟
4. ما المواطن التي استشهد المفسرون فيها بكلام العرب المنثور؟

أهمية البحث.

1- تعددت الآراء في حجية الاستشهاد بكلام العرب المنثور على القضايا اللغوية، فأردت من خلال هذا البحث المحاولة للوصول إلى القول الراجح في المسألة.

2- ذكر المفسرون في كتبهم كلام العرب المنثور في مواطن متعددة، فأردت أن أبين أنواع هذه المواطن والغرض من استشهادهم بتلك الأقوال.

3- إظهار مكانة كلام العرب المنثور في التفسير.

4- التعريف بوسيلة من وسائل تفسير القرآن الكريم.

أهداف البحث.

يهدف هذا البحث إلى بيان الأمور الآتية:

1. بيان القول الراجح في حجية الاستشهاد بأقوال العرب المنثورة في القضايا اللغوية.
2. بيان تاريخ دخول الاستشهاد بكلام العرب المنثور في التفسير، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به في التفسير.
3. بيان مواطن استشهاد المفسرين بأقوال العرب المنثورة في تفسير القرآن الكريم.
4. لفت النظر إلى وسيلة لغوية من وسائل تفسير القرآن الكريم المتعددة، وإظهار مكانتها.

محددات الدراسة.

سيقتصر هذا البحث على دراسة أقوال العرب المنثورة الواردة في كتب التفسير فقط دون دراسة أقوال العرب المنثورة التي وردت في التفسير خارج كتب التفسير، ولا أظن أن ذلك سيؤدي إلى قصور في الدراسة؛ لأن أغلب ما وصل إلينا من التفسير هو الموجود في كتب التفسير، والأحكام تبنى على الغالب والأعم. كما أنني سأستثني الأمثال العربية من الكلام المنثور؛ وذلك لأنها كلام منثور له خصائصه، وتستحق أن تفرد ببحث خاص بها.

الدراسات السابقة.

الدراسات العلمية التي تحدثت عن أهمية وأثر اللغة العربية بتفسير القرآن الكريم كثيرة، منها ما كان الحديث فيه عاماً ومنها ما تخصص ببيان أهمية أحد علوم اللغة في التفسير، وقد وجدت أن أقرب هذه الدراسات لهذا البحث الدراسات الآتية:

- اللغة العربية وعلاقتها بعلم التفسير، المغلاج، عبد الله بن إبراهيم، مجلة فقه اللسان، س1، ع1، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز ابن أبي الربيع السبتي للدراسات اللغوية والأدبية، المغرب، 1437هـ، 2016م، وقد بين فيه المؤلف مكانة

اللغة العربية وأهميتها في التفسير، وأن العلم باللغة شرط للمفسر وأن معرفة اللغة العربية وأساليبها من أهم أصول التفسير وقواعده، وأن التفسير بالاجتهاد والرأي منه ما هو جار على موافقة كلام العرب، ومناحيهم في القول. وتتفق هذه الدراسة مع هذا البحث في الإطار العام، إلا أن هذا البحث سلط الضوء على جزئية دقيقة وهي الاستفادة من الكلام المنثور في تفسير القرآن الكريم.

- التفسير اللغوي للقرآن الكريم لمؤلفه الدكتور مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، دون تاريخ، دون طبعة، بين فيه أهمية معرفة ألفاظ اللغة العربية وأساليبها في تفسير القرآن الكريم، ثم تحدث عن الاستشهاد بالشعر على تفسير القرآن الكريم، وعن استشهاد المفسرين بالنثر في تفاسيرهم وأنهم كانوا ينصون أحياناً على أن ما ذهبوا إليه من المعاني قد ورد مثله في لغة العرب أو أنه موافق للغة من لغات القبائل التي نزل بها القرآن الكريم، وكان الحديث في ذلك مختصراً، ويتفق بحثي هذا مع ما ذهب إليه المؤلف من حيث وقوع الاستشهاد بكلام العرب في التفسير، وتختلف هذه الدراسة بالتفصيل في بيان حجية الاستشهاد بكلام العرب المنثور، وبيان المواطن التي استشهد فيها المفسرون بكلام العرب في التفسير على وجه التفصيل.

- كتاب لغة القرآن، لمؤلفه الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، الأردن، ط1، 1401هـ، 1981م، تحدث في الباب الثالث من الكتاب عن اللغة العربية وتفسير القرآن الكريم وبين أهمية معرفة اللغة وألفاظها وأساليبها وتراكيبها في فهم وتفسير القرآن الكريم، وأشار إلى أن الصحابة قد فسروا القرآن الكريم بما يعرفونه من لغة العرب مستشهدين على ذلك بالشعر والنثر وتابعهم على ذلك المفسرون، وهذا محل اتفاق مع هذا البحث إلا أنني في هذا البحث قد فصلت الحديث عن قضية الاستشهاد بكلام العرب المنثور بشكل منفصل مبيناً حجية ذلك، والمواطن التي استشهد بها المفسرون بكلام العرب المنثور في التفسير على وجه التفصيل.

منهجية البحث.

يقوم البحث على المنهجين الآتيين:

المنهج التحليلي: وذلك بتحليل ما ورد من نصوص معارضة ومؤيدة لحجية الاستشهاد بكلام العرب عامة، وبأقوال العرب المنثورة على وجه الخصوص، ودراستها للخروج بالقول الراجح في هذه المسألة.

المنهج الاستقرائي: حيث قمت بتتبع غالب أقوال العرب المنثورة في كتب التفسير، وتصنيفيها بحسب الموضوع الذي استشهد بها عليه، ثم اخترت نماذج لعرضها في هذا البحث؛ نظراً لعدم إمكانية عرضها كلها.

خطة البحث.

وقد قسمت بحثي إلى تمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

التمهيد: في تعريف مفردات عنوان البحث.

المبحث الأول: حجيَّة أقوال العرب المنثورة وتاريخ دخولها في التفسير.

المبحث الثاني: مواطن استشهاد المفسرين بأقوال العرب المنثورة.

الخاتمة: بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

هذا، وإني أرجو الله التوفيق والسداد، فهو نعم المولى ونعم المعين.

التمهيد: في تعريف مفردات عنوان البحث.

أولاً: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً.

أ- **التفسير لغةً:** مأخوذ من الفَسْـــرِ، يقول ابن فارس: الفاء والسين والراء كلمة واحدة، تدل على بيان الشيء وإيضاحه[1]، ويقول ابن منظور: الفَسْـــرُ: البيان، فسر الشيء يفسِرهُ بالكسر، ويفسُـــرُه بالضم، وفَسْراً، وفسَّرَه: أبانه، الفسر كشف المغطى والتفسير مثله. والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[2]، وقال الفيروزآبادي: الفسر الإبانة وكشف المغطى[3].

ونخلص من ذلك إلى اتفاق اللغويين على أن معنى التفسير هو: البيان والكشف والإيضاح.

ب- **تعريف التفسير اصطلاحاً:** عُرِّف التفسير بعدة تعريفات متقاربة، لا يتسع المجال لذكرها، ولعل من أفضلها ما ذكره الدكتور الذهبي حين قال: "التفسير عبارة عن علم يبحث عن مراد الله تعالى في القرآن بقدر الطاقة البشرية"[4]. وما ذكره الخولي بأنَّه: "بيان كلام الله تعالى"[5].

وأرى أن يستفاد من تعريفيهما لصياغة تعريف أكثر دقة ليعرف التفسير بأنه: "**بيان مراد الله تعالى من كتابه العزيز**".

ثانياً: تعريف الاستشهاد لغة واصطلاحاً.

أ- **الاستشهاد لغة:** طلب الشاهد، وهو مأخوذ من شهد، يقول ابن فارس:" الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور، وعلم، وإعلام"[6]، وفي لسان العرب:" الشاهد هو العالم الذي يبين ما عَلِمَه... وشهد له بكذا أي: أدى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد، والشاهد خبر قاطع"[7]، ويقول الفيروزآبادي: "الشهادة خبر قاطع، واستشهده: سأله أن يشهد"[8].

ومن ذلك يمكن القول: إن الاستشهاد: "**الطلب ممن كان حاضراً أو عالماً لأمر ما أن يخبر بما حضره أو علمه، ليقطع بذلك الشك باليقين**".

ب- **الاستشهاد في الاصطلاح:** للاستشهاد في الاصطلاح عدة تعريفات تختلف بحسب الموضوع، وما يهمنا هنا الاستشهاد في القضايا اللغوية، وقد عرِّف بعدة تعريفات منها: "الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة؛ لكون ذلك الجزيء من التنزيل أو كلام العرب الموثوق بعربيتهم"[9]. ومنها: "قول عربي لقائل موثوق بعربيته يورد للاحتجاج والاستدلال به على قول أو رأي"[10]، ومنها: "جملة من كلام العرب، أو ما يجري مجراه، كالقرآن الكريم تتسم بمواصفات معينة، وتقوم دليلاً على استخدام العرب لفظاً لمعناه أو نسقاً في نظم كلام، أو على وقوع شيء إذا اقترن

بغيره، أو على علاقة بين لفظ وآخر، أو على معنى وغيره، أو تقديم وتأخير واشتقاق وبناء، ونحو ذلك مما يصعب حصره، ومما هو محسوب في مناحي كلام العرب الفصحاء"[11].

وبالنظر إلى التعريفات السابقة يمكن أن يعرف الاستشهاد بأنه: "**إيراد دليل من القرآن أو الحديث الشريف أو كلام العرب المعتبر لإثبات قضية من قضايا اللغة العربية**".

وربما يذكر بدلاً عن مصطلح الاستشهاد مصطلح آخر كالاحتجاج، وللتفريق بينها لا بد من بيان معنى الاحتجاج لغة، وتعريفه اصطلاحاً.

أما الاحتجاج لغة: فهو مأخوذ من حجَّ، وجاء في معجم العين: "والحَجُّ: كثرة القَصْد إلى من يُعَظَّم... والحُجَّةُ: وَجْهُ الظَّفَر عند الخُصومة"[12]، وفي معجم مقاييس اللغة:" وَمُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ الْحُجَّةُ مُشْتَقَّةً مِنْ هَذَا – يعني المحجة؛ لِأَنَّهَا تُقْصَدُ، أَوْ بِهَا يُقْصَدُ الْحَقُّ الْمَطْلُوبُ. يُقَالُ: حَاجَجْتُ فُلَانًا فَحَجَجْتُهُ أَيْ: غَلَبْتُهُ بِالْحُجَّةِ، وَذَلِكَ الظَّفَرُ يَكُونُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ"[13]. وفي لسان العرب: "والحُجَّة: البُرْهان؛ وَقِيلَ: الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ"[14].

وأما الاحتجاج في الاصطلاح: فعرِّف في مجال العلوم اللغوية بتعريفات عديدة منها:" إثبات شيء بدليل نقلي يعود إلى من يصح الاحتجاج به لتوثيق مسألة من المسائل، أو ما يؤتى به من الكلام الفصيح ليشهد بصحة العبارة دلالياً أو نحوياً ومدى موافقتها أو مخالفتها للعرف اللغوي"[15]، ومنها: "إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة أو تركيبة، بدليل نقلي صح سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة"[16].

والفرق بين الاستشهاد والاحتجاج: أن الشاهد والحجة يلتقيان في الاستدلال على أمر ما، إلا أن الشاهد أعم من الحجة؛ لأن الحجة تورد في موطن الخصومة، أما الشاهد فيذكر في الخصومة وغيرها.

ثالثاً: تعريف النثر لغة واصطلاحاً.

أ- **النثر لغة:** قال الخليل: "النَّثْر: رَمْيُكَ الشيءَ بيَدِكَ متفرّقاً"[17]، وفي لسان العرب: "النَّثْرُ نَثْرُكَ الشيءَ بِيَدِكَ تَرْمي بِهِ مُتَفَرِّقًا مثلَ نَثْرِ الجَوْزِ واللَّوْزِ والسُّكَّرِ، وَكَذَلِكَ نَثْرُ الحَبِّ إِذا بُذِرَ"[18].

ب- **النثر اصطلاحاً:** "هو الكلام غير الموزون[19]. وزاد بعضهم عدم وجود القافية فقال: "هو الكلام الذي لم ينظم في أوزان وقواف"[20].

المبحث الأول:
حجية الاستشهاد بالكلام المنثور ومناهج المفسرين في الاستشهاد به.

المطلب الأول: حجية الاستشهاد بالكلام المنثور.

قبل الشروع في بيان حجية الاستشهاد بالكلام المنثور لا بد من بيان بعض الأمور المهمة التي تتعلق بالاستشهاد كأهميته، وأنواعه، ومواطنه؛ وذلك لما لها من أثر في الوصول إلى القول الراجح في حجية الاستشهاد بالكلام المنثور.

1) **أهمية الاستشهاد:** الاستشهاد أمر مهم عند علماء اللغة، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري: "ثم إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن كحاجته إلى الشاهد، والمثل، والشذرة، والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيماً، ويكسبه قبولاً، ويجعل له قدراً في النفوس، وحلاوة في الصدور، ويدعو القلوب إلى وعيه، ويبعثها على حفظه، ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة، والاستظهار به، أوان المجادلة في ميادين المجادلة، والمصاولة في حلبات المقاولة، وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد، والتنوير في الروض، والتسهيم في البرد، فينبغي أن يستكثر من أنواعه"[21]. فهو بمثابة الدليل الذي يقدم مع الدعوى لتثبت صحتها، فتجعل المتلقي مستعداً لقبول ما يلقى إليه، وفي هذا يقول ابن جني: "إذا قام الشاهد والدليل وضح المنهج والسبيل"[22]، وإذا كان كلام العسكري يشير إلى أن الشاهد مطلوب ومهم في كل الأوقات، إلا أن بعضهم يرى أن ما جاء على الأصل والقياس مطرداً بديهياً لا يحتاج إلى شاهد، كرفع الفاعل، واشتراط الاسمية في المبتدأ، وإنما تكون الحاجة إليه في حال الخلاف أو الخروج عن القياس، أو إظهار ضعف رأي، وتفنيده وعدم جوازه، فهنا يحتاج إلى استدعاء الشاهد لإزالة الشك وحصول الإقناع به.

2) **أنواع الشواهد:** الشواهد التي استعان بها علماء اللغة منحصرة في ثلاثة، هي: القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام فصحاء العرب الموثوق بفصاحتهم، وقد بيَّن السيوطي أن ما يستشهد به هو: "كلام من يوثق بفصاحتهم، فشمل كتاب الله تعالى، وهو القرآن، وكلام نبيه ﷺ، وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمانه، وبعده إلى أن فسدت الألسنة"[23].

وسبب حصر الاستشهاد بهذه المصادر هو أنها فصيحة، بليغة، خالية من اللحن والخطأ، سالمة من التحريف، أما القرآن الكريم فلا شك في فصاحته وبلاغته، وسلامة نقله، وقد احتج به العلماء وبقراءاته ورواياته، المتواترة وغير المتواترة[24]، وأما الحديث الشريف؛ فذلك لأن الرسول ﷺ أفصح العرب قاطبة وأبلغهم، لكن بعضهم اشترط أن يكون كلامه ﷺ منقولاً إلينا بالنص لا بالمعنى، والقضية فيها خلاف يرجع إلى مظانها[25]، وأما كلام العرب فالمقصود به ما نطقت به العرب عل سجيتها وسليقتها، من منظوم الكلام ومنثورة، في زمن الاحتجاج، وهو أمر بحاجة إلى بيان زمان الاحتجاج، وأهله.

3) **مواطن الاستشهاد:** المواطن التي يستحضر فيها الشاهد متعددة، فيذكر الشاهد لبيان معنى لفظة أو معانيها المتعددة، ولبيان أصل كلمة، وتصريفها واشتقاقها، كما يستحضر الشاهد لبيان الأعراب ووجوهه المختلفة، وكذلك لبيان أساليب الكلام البلاغية في فروعه المختلفة من علم المعاني، والبيان والبديع، ويلحق به بيان معاني العبارات والجمل.

وبناء على مواطن الاستشهاد تلك قسموا الشواهد إلى ثلاثة أقسام، وهي: الشاهد اللغوي أو المعجمي، والشاهد النحوي، والشاهد البلاغي[26].

حجية الاستشهاد بالكلام المنثور:

تكلم العلماء والباحثون قديماً وحديثاً في حجية الاستشهاد بكلام العرب على العلوم المختلفة، واتفقوا على أن كلام العرب الذي يحتج به هو الكلام الفصيح البليغ المشهود له بذلك، ثم انقسموا في تحديد مظان ذلك الكلام إلى فريقين:

الفريق الأول: ذهب إلى أن الكلام الذي يحتج به هو كلام القبائل العربية التي سلمت من المخالطة للأعاجم، قبل البعثة، وبعدها إلى زمن المولدين.

وحجتهم في ذلك أن القبائل العربية التي خالطت العجم تأثرت بلغاتهم فنتج عن ذلك فساد ألسنتهم، وفي هذا يقول السيوطي: "أما كلام العرب فيحتج بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم"[27]، ويقول أحمد أمين: "فالقبائل العربية لم تكن كلها بنظرهم في درجة واحدة من الفصاحة... ولم تكن في درجة واحدة من السلامة، فقد سلمت بعض القبائل، وحافظت على عربيتها لبعدها عن الاختلاط والفساد"[28].

وبناء عليه حددوا القبائل التي يستشهد بكلامها، والقبائل التي لا يستشهد بكلامها، وقد ذكر أبو نصر الفارابي أسماء تلك القبائل مع بيان الأسباب التي أدت إلى الأخذ عن بعضها، وعدم الأخذ عن بعضها الآخر في كتابه المسمى (الألفاظ والحروف)، وترجع هذه الأسباب إلى مخالطتهم للعجم، على ما ذكره السيوطي عنه[29]، وأما حجتهم في عدم الأخذ عن المولدين فهو الإجماع على فساد ألسنتهم، وقد ذكر السيوطي الإجماع بقوله: "أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين"[30]، ويصرح بالسبب في مكان آخر فيقول: "وكلام العرب الذي يحتج به قبل البعثة، وفي زمنه ﷺ، وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظماً ونثراً، عن مسلم أو كافر"[31].

وحددوا هذه الفترة التي تحدث عنها السيوطي بالفترة الواقعة قبل البعثة، وحتى أوائل القرن الثاني من الهجرة، وتمتد عند أهل البادية حتى أواخر القرن الهجري؛ وذلك لتأخر فساد لسان أهلها عن أهل الحضر[32].

الفريق الثاني: ذهب إلى جواز الاستشهاد بكلام القبائل العربية، ومن دخل فيها من غيرهم، وبكلام المولدين، إذا ما شهد للمتكلم بالفصاحة والبلاغة.

وحجتهم في ذلك أن المخالطة تؤدي إلى تهذيب اللسان، كما هو الحال بالنسبة لقريش التي كانت أكثر القبائل اختلاطا بغيرها، في الحج والأسواق والتجارة، وشهد لها الجميع بالفصاحة والبلاغة، فقال ابن فارس عنهم: "كانت قريش،

مع فصاحتها وحُسن لغاتها ورِقَّة ألسنتها، إذَا أتتهُم الوُفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع مَا تخيّروا من تِلْكَ اللغات إلى نحائرهم وسَلائقهم التي طُبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب"[33]، كما احتجوا باستشهاد النحاة، والمفسرين بكلام المولدين، الذي يدل على صحة لسانهم، وهو ما ذهب إليه الزمخشري عندما استشهد بشعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت: 231هـ) في أوائل سورة البقرة[34]، واحتج المبرد في كتابه الاشتقاق بشعر أبي تمام أيضاً[35]، واحتج سيبويه بشعر بشار بن برد (ت: 168هـ)، وهو من أول المحدثين [36].

رأي الباحث:

والذي أراه في هذه المسألة هو:

1- أن من خصَّ صحة الاستشهاد بقبائل معينة دون غيرها ومن لم يقبل بهذا التخصيص متفقون على أن الضابط في ذلك هو الفصاحة والبلاغة، وسلامة اللغة من اللحن والدخيل، وهو أمر لا شك في وجوده عند تلك القبائل التي خصوها بالقبول، وأما القبائل الأخرى التي أضافها الفريق الثاني فلم أرَ من يقول بجواز الاستشهاد بكلامهم عامة، وإنما خصوا منهم أفراداً شُهد لهم بالفصاحة والبلاغة، وبهذا يزول الاختلاف بين الفريقين.

2- وأما من جعل لمن يستشهد بكلامهم حداً زمانياً إلى ما قبل المولدين ومن أدخل فيه المولدين، فإن الضابط في ذلك هو الفصاحة والبلاغة أيضاً، وهو أمر لا شك في وجوده عند غالب من جاء قبل هذا الحد، وبعض من جاءوا بعده، ولذا اسُتشهد بكلام بعض من جاء بعد هذا الحد من المولدين لمَّا شُهد لهم بالفصاحة والبلاغة وسلامة اللغة، ولذا لا يبقى هناك خلاف بين الطرفين.

إلا أنني أرى أن يفصل في أمر الحد الزماني بحسب المستشهد عليه، فإن كان الاستشهاد على اللغة والصرف والنحو فلا يستشهد عليه إلا بكلام ما قبل المولدين، وإن كان المستشهد عليه في المعاني أو البيان أو البديع فيقبل فيه كلام ما قبل المولدين وكلام المولدين؛ لأن البلاغة راجعة إلى العقل، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم، وهو ما كان يصنعه ابن جني بشعر المتنبي، فقد كان يحتج بكلامه على المعاني دون الألفاظ، وقد نص على ذلك فقال: "لا تستنكر ذكر هذا الرجل –وإن كان مولدًا– في أثناء ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه ولطف متسربه؛ فإن المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون، وقد كان أبو العباس (يعني المبرد المتوفى:285هـ) –وهو الكثير التعقب لجُلَّة الناس– احتج بشيء من شعر حبيب ابن أوس الطائي (يعني أبا تمام المتوفى:231هـ) في كتابه في الاشتقاق، لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه"[37]، وهذا ما ذهب إليه الأندلسي في شرح بديعية رفيقة ابن جابر فقال: "علوم الأدب ستة: اللغة، والصرف، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، والثلاثة الأُوَل لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين؛ لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم؛ إذ هو أمر راجع إلى العقل". ونقل صاحب الخزانة البغدادي ذلك عنه[38]، وذكره السيوطي أيضاً [39].

وسبب هذا التفصيل في المستشهد عليه هو أن المولدين تأثروا بالعجمة التي دخلت إلى بلاد العرب بعد الفتوحات الإسلامية، ونتج عن ذلك تغيير في معاني الألفاظ، واختلالاً قواعد النحو والصرف. أما ما يتعلق بالبلاغة فبالإضافة إلى ما ذكرته من كونها متعلقة بالعقل والكل فيه سواء، فإن أهل الطبقات المتأخرة تأثروا بالقرآن الكريم، وأخذوا يحاكون أسلوبه فأدى ذلك إلى تربية الذوق العربي، وصقله وارتقاء مستوى البلاغة عندهم، فلا مانع من قبول كلامهم في هذا المجال الذي تساووا فيه مع من قبلهم، بل ربما زادوا عليهم فيه لطول صحبتهم للقرآن الكريم، وشدة تأثرهم ببلاغته[40].

قد يُظن مما سبق من الكلام على حجية الاستشهاد بكلام العرب أنه يقصد به وينصرف للشعر دون النثر؛ وذلك لما يظهر من الاهتمام بالشعر والاستشهاد به أكثر من النثر، ولما للشعر من أهمية في النفوس، ولأنه محفوظ أكثر من النثر، ولأنه يمثل الطبقة العليا من كلام العرب في الحضر والبادية، وغيرها من الأسباب[41]، إلا أن هذا الأمر غير صحيح، فالكلام جاء عاماً دون تخصيص بالشعر دون النثر، ولا يعني الانصراف عن الاستشهاد بالنثر أو التقليل من شأنه، فهو أيضاً له وجوده ومكانته، فكلام العرب يشمل المنظوم والمنثور ولم يفرق بينهما؛ فكلاهما مادة لغوية صالحة للدراسة والاستشهاد؛ فلم يؤخذ بكل ما نقل من النثر دون التأكد من فصاحته، ولذا قبلوا بعضه ورفضوا الآخر، كما هو الحال بالنسبة للشعر[42]، بل إن الجاحظ أشار بقوله: "فقد صح أن الكتب أبلغ في تقييد المآثر من الشعر"[43] إلى قدرة النثر على نقل ما أثر عن حياة السابقين بمختلف جوانبها أكثر من قدرة الشعر.

ويرى بعض الباحثين أن المتقدمين كسيبويه، والكسائي، والفراء، والأخفش، كانوا يعتمدون على الشاهد المنثور أكثر من اعتمادهم على الشاهد الشعري المنظوم[44].

والخلاصة أن علماء اللغة في الغالب استشهدوا بالنثر كما استشهدوا بالشعر، دون أن يفرقوا بينهما، إذا شُهد لتلك النصوص اللغوية بالفصاحة، ونقلت إلينا من طريق صحيح[45].

المطلب الثاني: تاريخ دخول الاستشهاد بالمنثور في التفسير ومناهج المفسرين فيه.

1) تاريخ دخول الاستشهاد بالمنثور في التفسير:

وجدت بعض النصوص المنقولة عن الصحابة –رضوان الله عليهم– تدل على أن الاستشهاد بكلام العرب بدأ منذ زمن الصحابة الكرام؛ فروي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان لا يعرف معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47] فوقف به فتى فقال: "إن أبي يتخوفني حقي"، فقال عمر: "الله أكبر، أو يأخذهم على تخوف أي على تنقص لهم"[46]، وروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قوله: "كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[فاطر: 1]، حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: "أنا فَطَرتها"، يقول: "أنا ابتدأتها"[47]. وقوله: "كنت لا أدري ما معنى ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾[الانشقاق: 14] حتى سمعت أعرابية تدعو بنية لها فتقول: حوري حوري أي: ارجعي"[48]، وقوله: "كنت لا أدري ما قوله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[الأعراف: 89] حتى سمعت بنت ذي يزن تقول: تعالَيْ أفاتحك،

يعني: أقاضيك"[49]. فإن صحت هذه الأقوال عنهما –رضي الله عنهما–، دل ذلك على أن الاستشهاد بأقوال العرب ابتدأ منذ زمن الصحابة الكرام[50]، وهو فعل يؤيد القول بحجية الاستشهاد بقول العرب المنثور في اللغة والتفسير.

إلا أن تحديد تاريخ الاستشهاد بالكلام المنثور في كتب التفسير بدقة أمر غير ممكن؛ وذلك لعدم وصول كتب التفسير كلها إلينا، لكن بالنظر والبحث فيما وصل إلينا من كتب التفسير وجدت أن أقدم من استشهد بكلام العرب المنثور في التفسير هم أصحاب التفاسير اللغوية، وهم أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، في كتابه معاني القرآن، ومعاصره أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: 209هـ)، في كتابه مجاز القرآن، ومعاصرهما أبو الحسن المجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ)، في كتابه معاني القرآن، ثم يأتي بعدهم بما يربو عن نصف قرن أبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، في كتابيه تأويل مشكل القرآن وغريب القرآن، ثم يليه بمدة تقل عن نصف قرن أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (المتوفى: 310هـ)، في تفسيره جامع البيان في تأويل القرآن.

وهذا يعني أن الاستشهاد بكلام العرب المنثور دخل في أغلب الظن في كتب التفسير في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري، على يد أصحاب التفاسير اللغوية، وهم المتعاصرون الثلاثة الفراء، وأبو عبيدة، والأخفش الأوسط، واستمر بعد ذلك عند المفسرين، وكان على رأسهم أبو جعفر الطبري.

2) **<u>ملامح مناهج المفسرين في الاستشهاد بكلام العرب المنثور:</u>**

إن أول ما يلاحظ المتتبع لمناهج المفسرين في الاستشهاد بكلام العرب المنثور في تفاسيرهم أنهم لا يذكرون صاحب القول في الغالب، ويكتفون بقولهم: (قالت العرب) أو (تقول العرب) أو (كقول العرب) وأمثال ذلك، وفي حالات نادرة ينسبون القول إلى صاحبه أو منطقته، وذلك كنسبتهم مقولة: "**سبحان ما سبح الرعد بحمده**"، مرة لأهل مكة كما فعل ابن عطية [51] ومرة لأهل الحجاز كما فعل الزجاج[52]، ومرة لابن الزبير كما فعل السمعاني[53].

أما الأمر الثاني فهو أن المفسرين لا يكتفون بالاستشهاد بكلام العرب المنثور على المسألة المبحوثة في الغالب، بل يعززون ذلك بالقرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو بالشعر العربي، وأمثلة ذلك كثيرة منها: عند تفسير قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[البقرة: 15] استشهدوا على معنى (ويَمُدُّ لَهُم) بقول العرب: "**الغلام يلعب الكِعاب**" ويقصدون: يلعب بالكِعاب، ثم استشهدوا على ذلك بآيات من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿**وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ**﴾[الطور: 22] وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[الكهف: 109][54].

واستشهدوا على معنى (كراما) في قوله تعالى: ﴿**مَرُّوا كِرَامًا**﴾[الفرقان: 72] بقول العرب: "**ناقة كريمة**"، و"**بقرة كريمة**"، و"**شاة كريمة**"، إذا كانت تعرض عن الحليب تكرّما كأنّها لا تبالي بما يحلب منها، واستشهدوا مع ذلك بحديث الرسول ﷺ: (إن أصبح ابن مسعود لكريما)[55].

وذكروا قول العرب تسمية مكة بذلك لقلة مائها بأنه من قول العرب: "**مكت الفصيل ضرع أمّه**"، "**امتكّه**"، إذا امتص كل ما فيه من اللبن، واتبعوا ذلك بالاستشهاد بقول الشاعر:

مكّت فلم تبق في أجوافها دررا [56]

وأحياناً يكتفون بالكلام المنثور وحده، وبيان مناهجهم في ذلك بالتفصيل يحتاج إلى بحث مستقل، ولا مجال لذكر التفاصيل هنا.

المبحث الثاني:
مواطن استشهاد المفسرين بأقوال العرب المنثورة.

تعددت مواطن استشهاد المفسرين بكلام العرب المنثور في التفسير، ومن المهم معرفة أن استشهادهم كان على صحة ما ذهبوا إليه من آراء في تفسير القرآن الكريم، ولم يكن استشهادهم على صحة القرآن الكريم، أو ألفاظه، أو تراكيبه، أو أساليبه، وبين الأمرين فرق كبير، وجميع المفسرين واللغويين يقرون بأن القرآن الكريم حجة على كلام العرب بكافة أنواعه، وليس لكلام العرب حجة على القرآن الكريم.

والمواطن التي استشهد فيها المفسرون على آرائهم في تفسير القرآن الكريم هي:

أولاً: معاني اللغات.

اللغات: جمع لغة، ويقصد بها الألفاظ المفردة، وبيان معاني الألفاظ المفردة عمل أصحاب المعاجم، ويسمى علم متن اللغة[57].

1- **تعريفه:** علم يعرف به معاني الألفاظ المفردة ومدلولاتها، بحسب الوضع [58].

2- **أهميته:** قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"[59]، وروى البيهقي في الشعب عن مالك قال: "لا أُوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً"[60]. ويقول الراغب الأصفهاني: "فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللبن في كونه أول معاون في بناء ما يريد أن يبنيه"[61]. فمعرفته تمنع من الخطأ في فهم معاني الألفاظ المفردة.

ومما يتبع معرفة معاني اللغات معرفة معاني حروف المعاني، ومن الأمثلة على استشهادهم بكلام العرب المنثور على معاني اللغات، والحروف، ما يأتي:

أ) **معاني اللغات:**

1. استشهد من ذهب إلى أن كلمة (خاوية) بمعنى (ساقطة) في قوله تعالى: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا**﴾[النمل: 52]، وفي قوله تعالى: ﴿**فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**﴾[الحج: 45] بقول العرب: "**خَوَى النجم**"، إذا سقط[62].
2. اختلفوا في معنى (لأَحْتَنِكَنَّ) في قوله تعالى: ﴿**لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ**﴾[الإسراء: 62] إلى قولين: الأوَّل لأقُودنَّهم إلى المعاصي، والثاني: لأستأصلنهم بالإغواء، واستشهدوا على المعنيين بكلام العرب، فاستشهدوا على المعنى الأول بقول العرب: "**حَنكَ فلانٌ الدَّابة**"، و"**احتنكها**"، أي: لأقودنهم اقتياد من جعل في حنكِ الدَّابة حبلاً يقودها به، فلا تأبى عليه، واستشهدوا على المعنى الثاني بقول العرب: "**احْتَنكَ الجرادُ الأرض**"، أي: أكل نباتها، وذكروا قول سيبويه: "**أَحْنَكُ الشَّاتينِ**"، بمعنى أكثرهما أكْلاً[63].
3. واستشهدوا على معنى كلمة (نتقنا) في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ**﴾[الأعراف: 171] بأن معناها اقتلعنا بقول العرب: "**نتقت الزبدة من فم القربة**"[64].

ب) **معاني الحروف:**

ذهب بعضهم إلى أن معنى الحرف (ما) في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى**﴾[الليل: 3] بمعنى (الذي) كما قالت العرب: "**سبحان ما سبح الرعد بحمده**"، وقال أبو عمرو: وأهل مكة يقولون للرعد: "**سبحان ما سبحت له**"[65]، ونسب السمعاني القول لابن الزبير[66]. استشهد من يرى أن (لما) جاءت بمعنى (إلا) في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ**﴾[هود: 111] بلغة هُذَيْل فهم يقولون: "**سألتك بالله لمَّا فعلت**"، فيكون تقدير الآية: وإن كلاً إلا ليوفِّيَنَّ ليوفِّينَّهم[67]. استشهد من ذهب إلى أن معنى (أنها) هو (لعلها) في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[الأنعام: 109] استشهد بقول العرب: "**ائت السوق أنك تشترى لحماً**"، يعني لعلك تشتري لنا لحماً، كما في قراءة أبيّ: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون[68].

ثانياً: القضايا الصرفية.

1- تعريف علم الصرف: هو العلمُ بأحكامِ بنْيةِ الكلمة، وبما لأحرُفِها من أصالةٍ وزيادةٍ، وصِحّةٍ وإعلالٍ، وإبدالٍ، وشِبهِ ذلك[69].

وهو يُطلقُ على شيئين: الأولُ تحويلُ الكلمة إلى أبنية مُختلفة، لِضُروبٍ من المعاني، والآخرُ تغييرُ الكلمة لغير معنًى طارئ عليها، ولكن لغرض آخر ينحصرُ في الزيادة والحذف والإبدال والقَلْب والإدغام [70].

2- **أهميته:** يعدُّ علم الصرف علماً مهماً؛ لأن به تعرف الأبنية والصيغ، لأن الكلمة المبهمة الأصل إذا تصرفت اتضح أصلها، ويقول ابن جني في الحاجة إليه:" يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة، وبهم إليه أشد فاقة؛ لأنه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به"[71].

وفيما يأتي أمثلة على استشهاد المفسرين بكلام العرب المنثور على القضايا الصرفية، في كلٍ من صورتي هذا العلم.

أ) الاشتقاق:

1- اختلفوا في اشتقاق كلمة (جبار) في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ**﴾[ق: 45] فقال الفراء: إنه فعَّال مشتق من جبر، واستشهد على ذلك بقول العرب: "**جبره على الأمر**"، يريد: أجبره، فالجبار من هذه اللغة صحيح، يراد به: يقهرهم ويجبرهم، وهو اشتقاق نادر. [72]

2- واختلفوا في كلمة (جَهَنَّم) في قوله تعالى: ﴿**وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ**﴾[النساء: 115] فيرى بعض اللغويين أنها اسم جامد للنار، غير مشتق، وقال أكثرهم: إنه اسم عربي مشتق من قول العرب: "**هذه رِكية جهنام**"، إذا كانت بعيدة القعر، فسميت النار جهنم لبعد قعرها [73].

3- وعند بيان أصل كلمتي (التوراة) و(الإنجيل) في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ**﴾[آل عمران: 65] حكى ابن الأنباري عن الفراء، قال: التوراة معناها: الضياء والنور، واستشهد بقول العرب: "**وري الزند يرى**" و"**يورى**"، إذا أظهر النار فالتوراة سميت لظهور الحق بها. وأما اشتقاق الإنجيل فيرى بعضهم أنه مأخوذ من قول العرب: "**نجلت الشيء**"، إذا استخرجته وأظهرته. يقال للماء الذي يخرج من النز: "**نجل واستنجل الوادي**"، إذا أخرج الماء. فسمي كتاب عيسى إنجيلا؛ لأن الله تعالى أظهره للناس بعد طموس الحق ودروسه[74].

ب) الصرف:

1. قال الطبري: إنَّ كلمة (عوان) في قوله تعالى: ﴿**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ**﴾[البقرة: 68] مفرد، وجمعها (عُوْن)، واستدل على ذلك بعدة أقوال من أقوال العرب، منها: "**امرأة عوان من نسوة عُوْن**"، و"**بقرة عوان**"، و"**بقر عُوْن**"، و"**هذه حرب عوان**"، إذا كانت حرباً قد قُوتل فيها مرة بعد مرة. يمثل ذلك بالمرأة التي ولدت بطناً بعد بطن. وكذلك يقال: "**حاجة عوان**"، إذا كانت قد قضيت مرة بعد مرة [75].

2. ذهب المفسرون إلى أن (معقبات) في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11] جمع الجمع، ومفرده مُعَقِّب، وجمعه مُعقِّبة، وجمع الجمع مُعَقِّبات، واستشهدوا على ذلك بقول العرب: **"أبناوات سعد"**، و**"رجالات بكر"**[76]. فجمعوا أبناءَ وهو جمعٌ على أبناوات، ورجال على رجالات.
3. احتجوا لتذكر (قريب) وهي صفة لرحمة المؤنثة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف: 56] بقول العرب: **"رِيحٌ خَرِيقٌ"** و**"مِلْحَفَةٌ جَدِيدٌ"** و**"شاةٌ سَدِيسٌ"**[77].

ثالثاً: الإعراب.

أ- **تعريف الإعراب:** هو علمٌ بأصولٍ تُعرف بها أحوالُ أواخر الكلمات العربية في الجمل من حيث الإعرابُ (الحركة) والبناء (لزوم حالة واحدة). أو هو: "اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظاً أو تقديراً"[78].

ب- **أهميته:** الإعراب فرع المعنى؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره، أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سُئِل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته، فقال: "حسن، فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها"[79].

وقد استشهد المفسرون بكلام العرب المنثور على ما ذهبوا إليه من وجوه إعراب آيات القرآن الكريم، ومن الأمثلة على ذلك:

1. أُعرب لفظ (خشعاً) في قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾[القمر: 7] على أنه حال للضمير في يخرجون، والعامل فيه يخرجون؛ لأنه فعل متصرف، واستدلوا على تقدم الحال على الفعل بقول العرب: **"شتى تؤب الحلبة"**، الذي تقدمت فيه (شتى) وهي حال، على الفعل العامل فيها وهو (تؤب)؛لأنه فعل متصرف[80].
2. ذهب بعض المفسرين إلى إعراب كلمة (أحسن) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: 154] بأنها منصوبة في محل جرٍ؛ لمجاورتها الاسم الموصول(الذي) المجرور بحرف الجر، إلا أنها نصبت؛ لأنها ممنوعة من الصرف لأنها على وزن (أفعل)، والأصل فيها أن تكون في محل رفع؛ لأن تقدير الآية: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي هو أحسن، لكن لما حذفت صلة الموصول (هو) جرت بالمجاورة؛ لأنها (أحسن) كالمعرفة لا يدخل عليها الألف واللام، واستشهدوا على ذلك بقول العرب: **"مررت بالذي خيرٍ منك، وشرٍ منك"**[81]. والأصل في قولهم: مررت بالذي هو خيرٌ منك، وشرٌ منك.
3. ذهب بعض المفسرين في إعراب قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[هود:41] إلى أن (بسم الله) في موضع الحال من الضمير في (اركبوا) أي اركبوا متبركين بالله تعالى، وأن (مَجْراها وَمُرْساها) ظرفي زمان لما في (بسم الله) من معنى الفعل، أي: وقت إجرائها وإرسائها، واستشهدوا على ذلك

بقول العرب: "**الحمد لله سرارك، وإهلالك**"، أي: آخر الشهر عند اختفاء الهلال، وأوله عند ظهوره[82]. فسرارك وإهلالك ظرفا زمان منصوبين.

رابعاً: القضايا البلاغية.

1- **تعريف علم البلاغة:** تعرف بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[83].

2- **فائدة علم البلاغة:** يقول السَّراجذ في بيان فائدة علم البلاغة: "هي من أجلِّ علوم العربية قدراً، وأجزلها نفعاً، بها يظهر إعجاز القرآن وتُجلي عرائس البيان، وبفضلها يهْتدى إلى حسْن اللفظ، وجودة الوصف، ولطف الإشارة، وحسن الاستعارة. فإذا كان اللفظُ فصيحاً والمعنى شريفاً صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"[84]. و"الْغَرَضُ منها هو تَرْبيةُ القدرة على استشعار جمال الكلام الأدبيّ الرفيع، وتقوية القدرة على فهم النصوص الجميلة الراقية"[85].

وقد استعان المفسرون بكلام العرب المنثور على بيان ما يرونه من وجوه البلاغة القرآنية واستشعار جمالها وتذوق حلاوتها، ومن الأمثلة على استشهادهم بكلام العرب على القضايا البلاغية في علمي المعاني والبيان ما يأتي:

أ) **علم المعاني:**

1. فسروا الاستفهام الوارد في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ**﴾[المائدة: 112] بالمسألة لا بالاستفهام، واستشهدوا على ذلك بقول العرب: "**أتستطيع أن تذهب في هذه الحاجة وتدعنا من كلامك**"، ويقصدون اذهب، وبقولها: "**أتستطيع أن تكف عني فإني مغموم**"، ويقصدون كفَّ عني. فلفظه لفظ الاستفهام، ومعناه معنى الطلب والسؤال[86]؛ وذلك لأن الحواريين لم يكونوا يشكون في قدرة الله تعالى، وإنما أرادوا بذلك الطلب.

2. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ**﴾[الأحقاف: 20] قالوا هذا من القلب، وهو أن يجعل المسند إليه وهو هنا (الذين كفروا) مكان القيد (على النار)، والقيد مكان المسند إليه، وهو أسلوب معروف عند العرب كقولهم: "**عرضت الناقة على الحوض**"، والأصل فيه عرضت الحوض على الناقة، وهو أسلوب يؤتى به للمبالغة [87].

3. قدروا متعلق الجار والمجرور وهو المسند في قوله تعالى: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾[الفاتحة: 1] بما جعل التسمية مبدأ له، وهو في الفاتحة أقرأ، ومن أمثالها في حذف المسند متعلق الجار والمجرور قوله تعالى: ﴿**فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ**﴾[النمل: 12] وتقدير المسند المحذوف: اذهب في تسع آيات. واستشهدوا على ذلك بقول العرب في الدعاء للمعرس: "**بالرفاء والبنين**"، وقول الأعرابي: "**باليمن والبركة**"، بمعنى أعرست، أو نكحت[88].

ب) **علم البيان:**

1. استشهدوا في توضيح المجاز الوارد في قوله تعالى: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ**﴾ [الدخان: 29] وذلك في نسبة البكاء للسماء، الذي يدل على عدم الاكتراث بهلاك فرعون وقومه، بأن العرب كانت

إذا مات عندهم رجل عظيم قالوا: "**بكت عليه السماء والأرض**"، و"**بكته الريح**"، و"**أظلمت له الشمس**" [89]، معبرين بذلك عن عظيم شأن المتوفى، واهتمامهم بأمره، والحزن على فقده.

2. وضحوا تشبيه النساء بالبَيْض الوارد في قوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ**﴾[الصافات: 49] بأنه من عادة العرب تشبيه النساء ببيض النعام، وذلك في قولهم: "**بيضات الخدور**"، أي: هن كبيضات الخدور، وخصوا التشبيه به لصفائه وحسن منظره أكثر من غيره. ولأن النعامة تبيض في الأرض البعيدة حفظاً لبيضها عن أن يمس[90].
3. بينوا الكناية الواردة في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾[القلم:42] والتي تعني شدة الأمر. بأن العرب تقول للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجد، ومقاساة الشدة: "**شمر عن ساقه**"، كما أن العرب تقول إذا اشتد الأمر في الحرب: "**كشفت الحرب عن ساق**" [91]، فإن من لوازم الأمر الشديد أن يكشف الإنسان عن ساقة؛ كي لا يعيقه ثوبه في الحركة.

خامساً: حجية القراءات.

أ- **تعريف القراءات:** "علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزوّا لناقله"[92].

ب- **مفهوم الاحتجاج:** هو علم يعنى بالكشف عن وجوه القراءات في نحوها أو صرفها أو لغتها، والكشف عن عللها، وبيانها، والإيضاح عنها[93]. وهو يعني بيان تحقيق القراءة المقبولة لشرط من شروط قبولها الثلاثة، وهو موافقتها للغة العربية ولو بوجه من الوجوه[94].

وقد استشهد المفسرون بكلام العرب المنثور على حجية القراءات، وموافقتها للغة العربية بوجه من الوجوه، ومن أمثلة ذلك:

1. احتجوا لقراءة عامة الكوفيين[95] لكلمة (بشرى) في قولَه تعالى: ﴿قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾[يوسف: 19] بإرسال الياء وترك الإضافة، أن يكون أرادَ إضافة البشرى إلى نفسه، فحذف الياء وهو يريدها، فيكون مفردًا، وفيه نيَّة الإضافة، احتجوا لذلك بأن العرب تقول: "**يَا نفسُ اصْبِرِي**"، و"**يَا غُلَامُ أَقْبِلْ**"، بحذف حرف الإضافة [96].
2. احتجوا لقراءة عبد الله بن أبي إسحاق (صادِ) في قوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[ص: 1] بالخفض بخلاف سائر القراء الذين جزموها [97]، بأنه فعل ذلك منعاً لاجتماع السَّاكنين، وهما الألف الساكنة التي قبل الدال مع الدال الساكنة، واستشهدوا عليه بقول العرب: "**تركته حاثِ باثِ، وخازِ بازِ**"، بالكسر؛ لأن الذي يسبق الحرف في آخر الكلمة ألف. فالخفض مع الألف، والنصبُ مع غير الألف. يقولون: "**تركته حَيْثَ بَيْثَ**"، ويقولون: "**لأجعلنك حَيْصَ بَيْصَ**"، إِذَا ضُيّق عَلَيْهِ [98].

3. وفي قراءة (نِعَمَهُ) في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان: 20] قرأ نافع وأبو عمرو وحفص بغير تنوين على الجمع، والباقون بالتنوين يعني نعمة واحدة [99]، واحتجوا لذلك بأنه قصد التكثير كقول العرب: "**كثر الدينار والدرهم**"، بالإفراد، وهو عندهم أبلغ في التكثير من لفظ الجمع [100].

سادساً: معاني الآيات.

1- بينوا معنى قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[البقرة: 179] بأنه مثل قول العرب: "**القتل أوقى للقتل**"، ويروى: "**القتل أبقى للقتل**"، ويروى: "**القتل أنفى للقتل**"، ويروى: "**القتل أكفُّ للقتل**"، والمعنى: أن القاتل إذا علم أنه إذا قَتَلَ أقتص منه وقُتِلَ، امتنع عن القتل فكان بذلك حياة له ولمن أراد قتله، ولكل من هم بمثل فعله. وبين الآية وعبارات العرب بون شاسع في البلاغة، فعبارات العرب على اختلافها وفصاحتها لا تداني فصاحة القرآن الكريم[101]. لكن يجمع الآية والعبارة معنى عام واحد.

2- ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾[الحديد: 11] ليس على ظاهره بمعنى الاستقراض من الحاجة، ولكنه مثل معنى قول العرب: "**لي عندَكَ قَرْضُ صدقٍ**"، وقولهم: "**لي عندك قَرْضُ سَوءٍ**"، إذا فعل به خيراً أو شراً، فلا بد وأن يرد لفاعله ومقرضه، وكذا من يقرض اللهَ قرضا حسناً بإحسانه إلى خلقه لا بد وأن يجازيه الله سبحانه به خيراً[102].

3- ذهب بعض المفسرين الى أن معنى لا جرم في قوله: ﴿**لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ**﴾[هود: 22] بمنزلة قولنا: (لا بد)، و(لا محالة)، كما نقول: لابد أنك قائم، ولا محالة أنك ذاهب، فلما كثر استعمالها بين الناس صارت بمنزلة حقاً، تقول العرب: "**لا جرم أنك محسن**"، بمعنى: حقاً إنك محسن[103].

4- ذهب من يرى معنى (تدعو) في قوله تعالى: ﴿**تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى**﴾[المعارج: 17] إلى أنه ليس بمعنى النداء، وإنما هو كقول العرب: "**دعاك الله**" أي: أهلكك الله، وقال الخليل: إنه ليس كالدعاء تعالوا، ولكنّ دعوتَها إيّاهم: ما تَفْعَلُ بهم من الأفاعيل. فيكون معنى الآية تهلك من أدبر أو تعذب من أدبر، والكلام بهذا يدخل في باب الحقيقة، ويخرج عن حيز الاستعارة[104]. ولكن لقلة استعمال هذا التركيب مالوا عن معناه الحقيقي إلى القول بأنه من المجاز والاستعارة فلم يتضح إلا بذكر قول العرب، وهو من العرف عندهم[105].

سابعاً: التاريخ والقصص.

استشهد المفسرون بكلام العرب المنثور الذي رووا به التاريخ والقصص، في بيان ما جاء في القرآن الكريم مجملاً، وعلى الرغم من أن بعض تلك الروايات التاريخية متعددة وربما تتضارب إلا أنه يمكن أن يؤخذ منها المعنى العام دون التفاصيل، ومن الأمثلة على ذلك:

1. بين المفسرون المقصود بتكذيب الكافرين في قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة: 82] أن فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: إنه الاستسقاء بالأنواء، وهو قول العرب: "**مطرنا بنوء كذا**"، قاله ابن عباس ورواه علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ(106).
2. بينوا تفاصيل قصة أصحاب الفيل المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[الفيل:1] فالقصة جاءت مجملة في سورة الفيل، فبينوا تفاصيلها بما رووه عن العرب في ذلك الحدث(107).
3. وبينوا قصة سبأ المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[سبأ: 15-16] وما حل بهم، بما ذكروه من أقوال العرب في ذلك(108).
4. بينوا شخصية تُبَّعٍ الذي ذكر في القرآن مرتين: الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾[ق: 14]، والثانية: في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾[الدخان: 37]، وأنه كان مسلماً صالحاً، وأن قومه لم يكونوا كذلك فأهلكهم الله ﷻ(109).

الخاتمة.

في ختام هذا البحث نلمس القيمة العلمية لكلام العرب المنثور في تفسير القرآن الكريم، من خلال استشهاد المفسرين به في المواطن التي تحتاج إلى توضيحٍ وبيانٍ لمفردات القرآن الكريم، وتراكيبه، وصيغه، وقد توصلت من خلال البحث إلى النتائج الآتية:

1. كلام العرب المنثور حجة على القضايا اللغوية بشكل عام، وأن كلام العرب المنثور قبل عصر المولدين يصح الاستشهاد به على كافة القضايا اللغوية، ويقتصر الاحتجاج بكلام العرب المنثور في عصر المولدين على القضايا البلاغية.
2. الاستشهاد بكلام العرب المنثور في القرآن الكريم دخل في التفسير في عهد الصحابة والتابعين، وكان له حضور في كتب التفسير، وأنه دخل إلى كتب التفسير -في الغالب- في أواخر القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث، وكان ذلك على يد المفسرين الذين اعتنوا بالتفسير اللغوي للقرآن الكريم، وأما إذا صحت الروايات المنقولة عن سيدنا عمر ابن الخطاب ﷺ والروايات عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- فإن الاستشهاد بكلام العرب يكون دخل في التفسير في عصر الصحابة -رضوان الله عليهم-.
3. المفسرين استشهدوا بكلام العرب دون نسبته لصاحبه في الغالب، وأن المفسرين لا يكتفون بالاستشهاد بكلام العرب المنثور على المسألة المبحوثة في الغالب، بل يعززون ذلك بالقرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو بالشعر العربي.

4. المفسرين استشهدوا بكلام العرب المنثور لتعزير آرائهم في التفسير في مواطن عدة، وهي: بيان معاني اللغات، والقضايا الصرفية، والإعراب، والبلاغة، والاحتجاج للقراءات القرآنية، وبيان معاني الآيات إجمالاً، وبيان القصص المجملة في القرآن الكريم.
5. كلام العرب المنثور وسيلة من وسائل الوصول إلى بيان وتوضيح وتفسير القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش.

(1) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، باب الفاء والسين وما يثلثهما، مادة (فسر)، ج4، ص502.

(2) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة (ف، س، ر).

(3) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ/2005 م، مادة (ف، س، ر).

(4) د. محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ط2، 1396هـ-1976م، ج1، ص15.

(5) أمين الخولي، **التفسير نشأته وتطوره**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1982م، ص394.

(6) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، باب الشين والهاء وما يثلثهما، مادة (ش، هـ، د).

(7) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ش، هـ، د).

(8) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (ش، هـ، د) .

(9) محمد بن علي الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد 1158هـ)، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت،ج1، ص718.

(10) د. نجيب اللبدي، **معجم المصطلحات النحوية والصرفية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م، ص119.

(11) حي عبد الرؤوف جبر، **مجلة النجاح للأبحاث**، المجلد الثاني، العدد 6، 1992م.

(12) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)،**كتاب العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، باب الحاء مع الجيم.

(13) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، مادة (ح، ج).

(14) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ح، ج).

(15) صالح بلعيد، **في أصول النحو**، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2005م، ص91.

(16) سعيد الأفغاني، **في أصول النحو**، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1994م، ص6.

(17) الفراهيدي، **العين**، باب الثاء والراء والنون معهما (ن، ث، ر).

(18) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ن، ث، ر).

(19) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت 1307هـ) **أبجد العلوم**، دار ابن حزم، ط1، 1423هـ/2002م، ص157.

(20) أحمد شوقي عبد السلام ضيف (ت 1426هـ)، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، دار المعارف، ط13، ص15.

(21) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري (ت نحو 395هـ)، **جمهرة الأمثال**، دار الفكر، بيروت، ج1، ص4.

(22) أبو الفتح عثمان الموصلي ابن جني (ت 392هـ)، **الخصائص**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج1، ص13.

(23) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت 911هـ)، **الاقتراح في أصول النحو وجدله**، تحقيق: د. محمود فجال، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح)، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، 1409هـ/1989م، ص67.

(24) ينظر: السيوطي، **الاقتراح**، ص75-76.

(25) ينظر: د. خديجة الحديثي، **موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث**، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط1، 1981هـ.

(26) جبر، يحيى عبد الرؤوف، **الشاهد اللغوي**، مجلة النجاح، المجلد الثاني، العدد السادس، 1992م، ص265.

(27) السيوطي، **الاقتراح**، ص9.

(28) أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ط7، ص245- 246.

(29) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ -1998م، ج1، ص167.

(30) السيوطي، **الاقتراح**، ص120.

(31) السيوطي،**الاقتراح**، ص67.

(32) د. محمد حماسة عبد اللطيف، **كتاب لغة الشعر: دراسة في الضرورة الشعرية**، دار الشروق، مصر، ط1، 1416هـ-1996م، ص41.

(33) أبو الحسين أحمد بن زكرياء ابن فارس القزويني الرازي (ت 395هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، نشر محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م، ص28.

(34) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج1، ص206.

(35) ينظر: ابن جني، **الخصائص**، ج1، ص25-26.

(36) عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ/1997م، ج1، ص8.

(37) ابن جني، **الخصائص**، ج1، ص25-26.

(38) البغدادي، **خزانة الأدب**، ج1، ص5.

(39) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت 911هـ)، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، نشر جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية، 1424هـ/2005م، ج1، ص456.

(40) ينظر: محمد زغلول سلام، **أثر القرآن في تطور النقد العربي**، دار المعارف، مصر، 1952م، ص250. زيتون، علي مهدي، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، ص279.

(41) محمد حسن حسن جبل، **الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته**، دار الفكر العربي، (د.ط)، القاهرة، (د.ت)، ص52.

(42) عبد الرحمن الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ج1، ص31.

(43) أبو عمرو بن بحر الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1384هـ، 1965م، ج1، ص75.

(44) محمد خير الحلواني، **أصول النحو العربي**، مؤسسة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011، ص76.

(45) محمد رضا عياض، **مكانة النثر في الاحتجاج ومقارنته بالشعر**، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، العدد 22، 2015م، ص57.

(46) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، ج1، ص47.

(47) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، (ت 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م، ج11، ص283.

(48) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق(ت 427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422،هـ/2002م، ج10، ص160.

(49) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج1، ص47.

(50) ينظر: الطيار، د. مساعد بن سليمان بن ناصر، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، (د.ت)، (د.ط)، ص61 وما بعدها.

(51) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص490، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (ت 1393هـ)،**التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**، الدار التونسية للنشر، تونس،1984هـ، ج30، ص538.

(52) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، ج5، ص332.

(53) أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني (ت 489هـ)، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـ/1997م، ج6، ص232.

(54) أبو الحسن المجاشعي الأخفش، المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ/1990م، ج1، ص52.

(55) الثعلبي، **الكشف والبيان**، ج7، ص152. والحديث ذكره الطبري في تفسيره قال: حدثني ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة، قال: مرّ ابن مسعود بلهو مسرعا فقال رسول الله ﷺ: "إنْ أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَكَرِيما"، ج19، ص316، وذكره ابن كثير في تفسيره بنفس الإسناد، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو الحسين العجلي، عن محمد بن مسلم، أخبرني إبراهيم بن ميسرة، أن ابن مسعود مر بلهو معرضاً، فقال النبي ﷺ: **"لقد**

أصبح ابن مسعود، وأمسى كريما"، وذكر رواية أخرى وحدثنا الحسن بن محمد بن سلمة النحوي، حدثنا حبان، أنا عبد الله، أنا محمد بن مسلم، أخبرني ابن ميسرة قال: بلغني أن ابن مسعود مر بلهو معرضا فلم يقف، فقال رسول الله ﷺ: "**لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريما**"،ج6، ص131. وفيه اختلاف في اللفظ وزيادة "وأمسى"، والحديث فيه انقطاع لأن ابن ميسرة لم يدرك ابن مسعود، وبالانقطاع يصبح الحديث ضعيفاً لكن يستأنس به.

(56) الثعلبي، **الكشف والبيان**، ج3، ص116.

(57) إبراهيم شمس الدين، **مقدمة جمهرة اللغة لدريد الأزدي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص4.

(58) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت 1362هـ)، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، مؤسسة المعارف، بيروت، ج1، ص176.

(59) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ/1957م، ج1، ص292.

(60) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت 458هـ)، **شعب الإيمان**، مكتبة الرشد للنشر، الرياض، ط1، 1423هـ/2003م، حديث رقم (2090)، ج3، ص543.

(61) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت 503هـ)، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ-1997م، ص8.

(62) الزمخشري،، **الكشاف**، ج3، ص161.ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي (ت 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ، ج4، ص163،نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت 850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ، ج2، ص855.

(63) ينظر: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي النعماني الحنبلي (ت 775هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ -1998م، ج12، ص326،، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف ابن عبد الدائم، السمين الحلبي (ت 756هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج7، ص380. أبو حيان محمد بن يوسف ابن علي ابن يوسف بن حيان الأندلسي (ت 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج7، ص61.

(64) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص473. أبو حيان، **البحر المحيط**، ج5، ص213.

(65) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص490. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص538.

(66) السمعاني، **تفسير القرآن**، ج6، ص232.

(67) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الفخر الرازي (ت 606هـ)، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج31، ص118،السمين الحلبي، **الدر المصون**، ج6، ص408.

(68) الزمخشري، **الكشاف، ج2**، ص57، درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت 1403هـ)، **إعراب القرآن وبيانه**، دار ابن كثير – دمشق – بيروت، ط4، 1415هـ، ج3، ص197.

(69) مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت 1364هـ)، **جامع الدروس العربية**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 28، 1414هـ-1993م، ج1، ص207.

(70) المرجع السابق، ج1، ص207-208.

(71) أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي (ت 392هـ)، **المنصف**، دار إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ/1954م، ج1، ص2.

(72) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء الديلمي (ت 207هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1، ج3، ص81. الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج11، ص333. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج26، ص333.

(73) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي النَّحَّاس (ت 338هـ)، **إعراب القرآن**، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، ج2، ص232. مكي ابن أبي طالب القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ)، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**، نشر جامعة الشارقة،ط1، 1429هـ/2008م، ج2، ص1468. ابن عادل، **اللباب**، ج3، ص466.

(74) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري الواحدي الشافعي (ت 468هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1994م، ج1، ص447، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، **غريب القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، 1398هـ/ 1978م، ج1، ص36. الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج7، ص132.

(75) الطبري، **جامع البيان**، ج2، ص194. بتصرف.

(76) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، ج3، ص9. الفراء، **معاني القرآن**، ج2، ص60. الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، 19، ص17.

(77) الأخفش، **معاني القرآن**، ج1، ص327. الطبري، **جامع البيان**، ج12، ص489،

(78) ينظر: الغلايني، **جامع الدروس العربية**، ج1، ص9. والجرجاني، **التعريفات**، ص47.

(79) أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ)، **فضائل القرآن**، تحقيق: مروان العطية، وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1415هـ/1995م، ج1، ص350.

(80) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص36. شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي الحسيني (ت 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج14، ص79.

(81) الطبري، **جامع البيان**، ج12، ص234. أبو حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص694، ابن عادل، **اللباب**، ج8، ص520.

(82) الفراء، **معاني القرآن**، ج2، ص14، الطبري، **جامع البيان**، ج15، ص328، ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص172.

(83) أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني (ت 739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، ج1، ص41.

(84) محمد علي السَّراج (معاصر)، **اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1403هـ/1983م، ص157.

(85) عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي (ت 1425هـ)، **البلاغة العربية**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، ج1، ص11.

(86) الأخفش، **معاني القرآن**، ج1، ص291، الطبري، **جامع البيان**، ج6، ص281، الحسين بن أحمد بن خالويه (ت 370هـ)، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط4، 1401هـ، ص135.

(87) الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص305، البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج5، ص115. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج24، ص158.

(88) الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ص2، أبو حيان، **البحر المحيط**، ج1، ص32. ابن عادل، **اللباب**، ج15، ص120.

(89) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص108، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعيّ الإيجي (ت 905هـ)، **جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الإيجي)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2004م، ج4، ص102، الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص276.

(90) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج26، ص333، الآلوسي، **روح المعاني**، ج12، ص78، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (ت 1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، ج8، ص209.

(91) الطبري، **جامع البيان**، ج23، ص559، الزجاج، **معاني القرآن**، ج5، ص210، محمد بن محمد ابن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت 333هـ)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م، ج10، ص153. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت 710هـ)، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، ج3، 525.

(92) محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري (ت 857هـ)، **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ج1، ص53.

(93) ينظر: أحمد سعد محمد (2000م)، **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**، ط2، ص23، مكتبة الآداب، القاهرة. محمود أحمد الصغير (1999م)، **القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي**، ط1، ص206، دار الفكر، دمشق.

(94) والشروط هي: (موافقة العربية ولو بوجه من الوجوه، موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصحة السند). ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف الدمشقي (ت 833هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي، ج1، ص9.

(95) علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (ت 1118هـ) **غيث النفع في القراءات السبع**، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط1، 1425هـ/2004م، ص321.

(96) الفراء، **معاني القرآن**، ج2، ص39، الطبري، **جامع البيان**، ج15، ص4، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص376.

(97) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وكان حسن القراءة كثير الرواية، مشتهرا بجودة التلاوة عالما بالنحو واللغة، وينظر ترجمته في **معرفة القراء الكبار** لشمس الدين الذهبي، ج1، ص157-158. ولم أجد هذه القراءة إلا عند الفراء والطبري.

(98) الفراء، **معاني القرآن**، ج2، ص396، الطبري، **جامع البيان**، ج21، ص138.

(99) عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت 1403هـ)،**الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع**، مكتبة السوادي للتوزيع، ط4، 1412هـ/1992 م، 341.

(100) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، الشهير بالماوردي (ت 450هـ)،**النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ص342، ابن زنجلة، أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد، (ت حوالي 403هـ)، **حجة القراءات**، محقق الكتاب سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ص715.

(101) ابن عطية، **المحرر**، ج1، ص246، أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ/1964م، ج2، ص245، ابن عادل، **اللباب**، ج3، ص230.

(102) الأخفش، **معاني القرآن**، ج2، ص535، الطبري، **جامع البيان**، ج22، ص397.

(103) الفراء، **معاني القرآن**، ج2، ص8، الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج17، ص334، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت 977هـ)،**السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، 1285هـ،ج 2، ص52.

(104) الخليل، **كتاب العين**، باب العين والدال والواو معهما، ج2، ص221، ابن عادل، **اللباب**، ج19، ص365. جعفر شرف الدين، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط1، 1420هـ، ج10، ص160.

(105) الثعلبي، **الكشف والبيان**، ج10، ص38. الآلوسي، **روح المعاني**، ج15، ص96.

(106) الماوردي، **النكت والعيون**، ج5، ص465، ابن عادل، **اللباب**، ج18، ص441.

(107) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت 327هـ)، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ،

ج10، ص3464- 3466، أبو الليث نصر بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت 373هـ)، **بحر العلوم**، ج3، ص618-622، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج8، ص483- 490.

(108) الثعلبي، **الكشف والبيان**، ج8، ص83، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج14، ص285، ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت 1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، 1419هـ، ج4، ص484-487.

(109) الطبري، **جامع البيان**، ج22، ص40، السمرقندي، **بحر العلوم**، ج3، ص272. السمعاني، **تفسير القرآن**، ج5، ص129.